ابنة الغابة

نبي الرحمة

بقلم: مهنّد العاقوص
رسوم: صباح كلّا

أَغْمَضَتِ الشَّمْسُ عَيْنَيْهَا، فَنَظَرَتْ سَيِّدَةٌ طَيِّبَةٌ إِلَى السَّمَاءِ، تَدْعُو اللهَ وَتَقُولُ:

«يَا رَبِّ! أُرِيدُ مَوْلُوداً لِأُصِيرَ أُمّاً».

وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعَتْ صَوْتاً يُنَادِي **"أُمِّي... أُمِّي".**

خَرَجَتِ السَّيِّدَةُ إِلَى الغَابَةِ بَاحِثَةً عَنْ الصَّوتِ، فَرَأَتْ غَزَالَةً صَغِيرَةً بَاكِيَةً مَرمِيَّةً فِي حُفْرَةٍ، احتَضَنَتْهَا وَعَادَتْ بِهَا إِلَى الكُوخِ.

اعتَنَتِ السَّيِّدَةُ بِالغَزَالَةِ كَثِيرَاً، حَتَّى سَمَّاهَا الجِيرَانُ **"أُمَّ غَزَالَة".**

وَفِي يَوْمٍ، اسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَاءِ السَّيِّدَةِ، فَكَبُرَ بَطْنُهَا حَتَّى صَارَتْ كَالبِطِّيخَةِ، فَرَاحَتْ تُكَلِّمُ الجَنِينَ الذِي يَلعَبُ فِي بَطْنِهَا وَتَقُولُ:

«آهٍ كَم اشتَقْتُ لِرُؤيَتِكَ! هَلْ أَنْتَ وَلَدٌ كَالقَمَرِ أم بِنْتٌ كَالشَّمْسِ؟».

بَعْدَ مُدَّةٍ بَكَتْ السَّيِّدَةُ فَرَحَاً بِابْنَةٍ جَمِيلَةٍ، ضَمَّتْهَا إِلَى صَدْرِهَا وَسَمَّتْهَا **" زَهْرَة".**

لَكِنَّ أَبَا زَهْرَة كَانَ غَاضِبَاً جِدّاً، فَقَدْ سَخِرَ مِنْهُ أَهْلُ القَرْيَةِ قَائِلِيْنَ:

"البِنْتُ تَجْلِبُ العَارَ وَالحَظَّ السَّيِّئَ لَكَ وَلِلْقَرْيَةِ، لَا تَتَكَلَّمْ مَعَنَا حَتَّى تَتَخَلَّصَ مِنَ البِنْتِ!".

وَفِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، حَمَلَ الأَبُ ابْنَتَهُ، وَمَضَى نَحْوَ الغَابَةِ المُخِيفَةِ، كَانَتْ زَهْرَةُ تَبْكِي فِي يَدِهِ وَكَأَنَّهَا تَقُولُ: **«لَا تَدْفِنِّي فِي التُّرَابِ يَا أَبِي! فَأَنَا أُحِبُّكَ وَأُحِبُّ أُمِّي»**.

لَكِنَّ الأَبَ فَكَّرَ بِكَلَامِ النَّاسِ وَسُخْرِيَتِهِمْ، فَوَضَعَ ابْنَتَهُ فِي الحُفْرَةِ وَغَادَرَ!

صَارَتِ الأُمُّ مِثْلَ شَمْعَةٍ تَذُوبُ بَاكِيَةً، يَطِيرُ صَوتُهَا مَعَ الرِّيحِ وَهِيَ تُنَادِي: **«زَهْرَةةةةةةةةة»**.

فِي اللَّيلِ، سَمِعَ الجَمِيعُ صَوتاً قَادِماً مِنَ الغَابَةِ يَصِيحُ **«أُمِّي»**.

خَافَ سُكَّانُ القَرْيَةِ، فَحَمَلُوا المَصَابِيحَ وذَهَبُوا إِلَى الغَابَةِ.

كَانَ الصَّوتُ يَعلُو كُلَّمَا اقتَرَبُوا مِنْ قَبْرِ زَهرَة، لَكِنْ فَجْأَةً سَمِعُوا صَوْتَ أَرْجُلٍ تَرْكُضُ فِي الظَّلَامِ، ثُمَّ حَدَثَتْ أَشْيَاءٌ عَجِيبَةٌ!

فَقَدِ امتَدَّ خَيْطُ نُورٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَزَرَعَ فَوقَ القَبْرِ زَهْرَةً رَائِعَةَ الجَمَالِ، رَائِحَتُهَا عَطِرَةٌ وَأَوْرَاقُهَا كَبِيرَةٌ.

سَقَتْ دُمُوعُ أُمِّ زَهْرَة قَبْرَ ابنَتِهَا الصَّغِيرَةِ، وَبَكَى الجَمِيعُ نَادِمِينَ.

أَمْسَكَ الأَبُ إِحْدَى وُرِيقَاتِ الزَّهرَةِ، وَقَرَأَ كَلِمَاتٍ كُتِبَتْ عَلَيْهَا:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«وَإِذَا المَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»

سَـجَدَ الجَمِيْـعُ عَلَـى الأَرْضِ، طَالِبِيْـنَ السَّـمَاحَ وَالمَغفِـرَةَ مِـنَ اللـهِ، وَأَقْسَـمُوا عَلَـى عَـدَمِ وَأْدِ البَنَـاتِ فِـي التُّـرَابِ مَـرّةً ثَانِيَـةً.

عِنْدَمَا عَـادَتْ أُمُّ زَهْـرَة إِلَـى البَيْـتِ، اسـتَقْبَلَتْهَا غَزَالَـة قَائِلَـةً: **«هَـلْ تَذْكُرِيْـنَ حِيْـنَ أَنْقَذْتِنِـي يَـا أُمِّـي؟!»**

عَانَقَتِ السَّيِّدَةُ الغَزَالَةَ وَقَالَتْ: **«نَعَم، لَكِنَّ ابنَتِي لَمْ تَجِدْ مَنْ يُنْقِذُهَا»**.

ابتَسَـمَتِ الغَزَالَـةُ والدَّمْعَـةُ فِـي عَيْنِهَـا، ثُـمَّ قَالَـتْ: **«لَقَـدْ أنقَـذْتُ ابْنَتَـكِ يَـا أُمِّـي، إِنَّهَـا فِـي الدَّاخِـل!!»**.

أَسْرَعَتِ الأُمُّ تَحْتَضِنُ ابْنَتَهَا وَتَشُمُّهَا وَتُقَبِّلُهَا.

تَوَقَّـفَ النَـاسُ عَـنْ وَأْدِ البَنَـاتِ، فَصَـارَتِ القَرْيَـةُ كَالحَدِيْقَـةِ مَلِيْئَـةً بِالزَّهـرَاتِ، وَظَـلَّ النَّـاسُ يُنَـادُونَ السَّـيِّدَةَ «أُمّ غَزالـة» حَتَّـى جَـاءَ يَـومٌ وَعَثَـرَتْ فِيْـهِ الغَزَالَـةُ عَلَـى أُمِّهَـا، وَذَهَبَـتْ لِتَعِيْـشَ مَعَهَـا فِـي غَابَـةِ الغِـزْلَانِ.